رحيل «أحمد فدعق» الصامت.. روائيٌ واقعي سحبَتْه الحياة إلى قاعها

أحمد عبدالله فدعق، بسحنته البسيطة، المرسوم عليه كدّ الأيام وشقاء السنين، يرحل عن عالمنا بصمت حزين، وهو ملتصق بهموم المكان وأوجاعه، في مدينةٍ يبسط الحزن فيها جناحيه على ملامح الناس ووجوههم المرهقة، وحيث أمكنته العتيقة وذاكرتها المتخمة بالتفاصيل والأوجاع في سوق الطعام والزعفران والطويلة وكريتر وبقية أحياء عدن القديمة، التي تبادله الحزن ويدها مغلولة فارغة إلا من تحية وداع واحتضان أخير!

د.عبدالحكيم باقيس

ولعل وصفه بـ«المثقف الصامت»، بحسب وصف مجلة «فنار عـدن»، التي أجـرت معه حـوارًا قصيرًا قبل أشهر، من أصدق ما يمكن أن يُـوصَـف به هـذا الكاتب، فقد أفـضى فيه للمرة الأولى ببعض من المعلومات عن حياته الاجتماعية والمهنيَّة والإبداعية، قبل أن يلوذ بالصمت الأخير والغياب الأعظم، بعد أن عاش بعيدًا عن الأضواء وصخبها. وكنت قد سجلت له في مارس 2015، حلقتين، مدتهما ساعة ونصف من برنامجي (قال الراوي) في إذاعة عدن، حول تكوينه الثقافي وكتاباته ورؤيته للمشهد الثقافي وشجون عامة، لكن المؤسف أنّه لم تُتح قذائف الحرب وأدخنتها التي ألهبت عدن وقتَئذ لهاتين الحلقتين أن تُبثّا، وتوقف البرنامج بتوقفَ إذاعة عدن التي كان يعمل فيها كذلك.

ينتمي فدعق على مستوى الكتابة الروائية، إلى جيل كتاب الرواية الواقعية في اليمن، الذي يتقدمه محمد عبدالولي في بدايات السبعينيات ويقف فيه طابور كبير من الكتّاب الذين تميّزوا بكتابة الرواية الواحدة، مع استثناءات نادرة جدًا، ما يشكل سمة عامة لعطاء هذا الجيل المتعثر في مواصلة الكتابة، على الرغم من وعيه بأهمية الرواية وتأثيرها، منهم من احتضنته المؤسسات السياسية والثقافية، فارتفع شأنه ولم يعش المعاناة التي عاشها كُتّاب آخرون، ممن ظَلت أوتاد المعيشة وهموم الحياة اليومية تسحبهم إلى قاع الحياة وتحجب عنهم فرص الأضـواء، وإذا كانت حظوظ هذا الجيل من الكتّاب تفاوتت في الشهرة والانتشار، فقد كان فدعق الروائي، مثل باوزير القاص؛ أحد أشقياء هذا الجيل وضحايا ورطـة الزمان والمكان في عدن، ممن لم يغامروا بالخروج من «الدائرة الحمراء»، بحسب وصـف أبوبكر المشهور العدني، وهي ورطة متناسلة حتى اليوم وبألوان عديدة وجديدة، يعاني منها الكُتّاب والمبدعون من مختلف الأجيال، وأكثرهم ممّن يلوذ ببلاغة الصامتين!

كتب فدعق روايتين؛ الأولى «القرية التي تحلم» في منتصف الثمانينيات، ثم صمت بعد ذلك نحو ربع قرن، ليكتب «جذور لا تموت» في نهاية القرن، يبدو أنّ ملحمة الحياة اليومية في العمل والكد في مكاتب الترجمة والطباعة في كريتر، لم ترهق صحته فحسب، بل التهمت كل وقته، ولم يجد من ترف للتفرغ للكتابة ومواصلتها؛ ما أثّر على حظه وتعزيز وجـوده في المشهد الثقافي، وهو في أحاديثه غير راضٍ عن روايته الثانية قياسًا بالنجاح الذي حقّقته روايته الأولى في الثمانينيات، وهذه شجاعة نادرة؛ أن يرى الكاتب أنّ عطاءه الإبداعي قد تراجع، لكن عند التأمل يمكن أن نستنتج أسبابًا أخرى لهذا التراجع، مثل غياب الفرص أو ندرتها في عدن، ما يؤدّي بكثير من الكتّاب إلى الانكفاء، وربما النكوص الإبـداعـي، وهـي أسباب تتصل بخصوصية الفضاء السوسيوثقافي العام، وطبيعة البيئة المكانية الطاردة للفرص التي تصنع التطور والكتابة والانتشار، فللأمكنة تأثيراتها في تطور الإبداع أو كبته.

.....

لقد كانت «القرية التي تحلم» بالنسبة لفدعق، أسوة بالعديد من كتابات الجنوبيين السائدة قبل أكثر من نصف قرن- ثمرةَ فهم وظيفة الأدب في الالتزام بقضايا المجتمع، ووفقَ مبادئَ الواقعية الاشتراكية في تخليق نموذج البطل الثوري الإيجابي، ودور الرواية والفن عامة في تثوير المجتمع؛ بمعنى أنّ رؤية الكتابة عنده كانت واضحة المعالم، وقد تخيّرَ بيئةً قروية شبوانية لإدارة الصراع في الرواية بين القديم الرجعي والجديد التقدمي، وقد ذكر هو نفسه أنّه استمدّ موضوعها من إحدى القرى في منطقة حبان في محافظة شبوة. والرواية تصف أساليب الظلم التي يتعرض لها المزارعون من شيخ القرية وعائلته، فيُقرّر أحدُ القرويين أن يقود ثورة ضد شيخ القرية ومجابهته بقوة السلاح، مستلهمًا في أثناء السرد العديدَ من العناصر والخصوصيات المحلية في البيئة الريفية؛ كالصراع على الأرض، وقضايا الثأر القَبَلي، فضلًا عن استلهام الرواية العديدَ من العناصر الثقافية والموروثات الشعبية، وهو ما منح الرواية أهمية

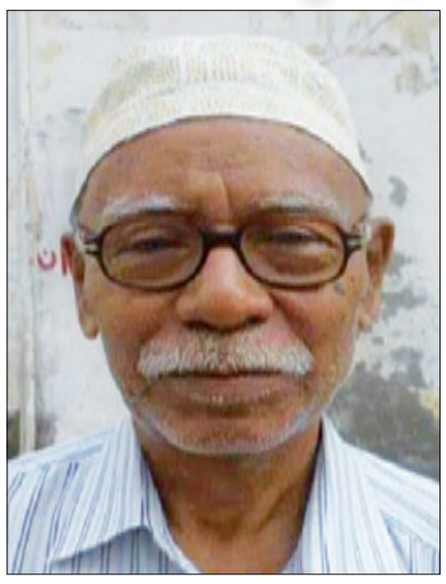

خاصة بين المكتوب في فترة الثمانينيات، وقد تم تحويلها إثر ذلك إلى مسلسل إذاعي ناجح، حين كان للبثّ الإذاعي جمهوره الشغوف العريض المتابع، وحين كانت الإذاعة نافذةً على الأدب والبرامج الجادّة والهادفة. في الرواية، تحرّرت القرية التي كانت تحلم بالتغيير، في إطار بنية المتخيل، لكنها في الواقع المرجعي سقطت من جديد في يد الشيخ القَبَلي المغتصب، وغرقت في الفوضى والصراعات، وتحوّل حلمها إلى كابوس، وعلى هـذا النحو يمكن أن نفهم المفارقة في الرمز بين الأدب الحالم والواقع المرعب، والقرية بوصفها رمزًا للوطن الذي لا يكف الحالمون عن تشييد صورته، وفي كل الأحوال كانت الرواية سياسيةً واقعية واضحة المعالم والدلالات.

لأحمد عبدالله فدعق، كتاباتٌ أخرى شعرية، جمعها في ديوان «من وحي قلعة صيرة»، وكتابات في الترجمة عن الإنجليزية، منها «تمرد عدن» لجوناثان ووكر، و«تحليل الوضع الاجتماعي لليمن» لدانييل مارتن، منذ عشرين سنة خلت، لكن اشتغاله بالترجمة العمومية والمتطلبات الأهلية بوصفها مصدر رزقه وطعامه، كانت تستنفد جُل وقته، فكيف لا يكون هذا الكاتب من الصامتين؟!

نص

مكشكشات

الشاعر التهامي الثائر الذي قتل غدراً بسبب قصيدة.. قتلوه بحادث مروري مدبَر من قبل النظام الحاكم في عهد عفاش آنذاك بالقرب من باب الشبارق أحد أبواب مدينة زبيد التاريخية عام 98م.. وإلى قصيدته تأملوا كلماته :

شعر: حسين غالب العليي*

أنـا مـن بـلاد تُسـمى تهـامة
أحـب الأمـانَ وأهـوى السلامة
مـا قِيل يـومـاً قـطـعـتُ طريقـاً
ولا قـيـل يـومـاً قـتـلـتُ حمامه
ولا قُـلـت مـنـا أمـيرٌ ومـنـهـم
أمـيرَ إلى أنِ تـقـوم القيامه
دفـعـتَ فـواتـيـر كـل الـعـصـور
ومـا زلـتُ أحـيـا عِـصـورَ الإمـامـه
وكـم صـفّـق الـنـاس جـهـلاً كمثلي
لـكـل قـرار عـديـمَ الـشـهـامـه
ومـا قـدّرَ الـحَـاكـمـونَ سـلـوكـاً
كـهـذا الـسـلـوك وصـانـوا ذمـامـه
ومـا أنـصـفـوني ولا كـرّمـوني
ولـكـن مـدحـتُ غـبـاء الـزعـامـه
ومـن حُـسـن ظَني بمن أرهقوني
منحت الـجـراد حـقـوق الإقـامـه
وقـاومـتُ جوعي وحتى طموحي
وقـلـت كـفـاني طـمـوحَ الـدمَـامـه
أنـا مـن منحت الـريـاح ذراعـي
وحـتـى النخيلِ شـمـوخـاً وقـامـه
فهل أدرَك البـغـيُ يـومـاً حصاري
وهـل أدرك الأهـلُ يـومـاً سِهامه
فـيـا أيـهـا الـنـاس هـيـا انـهـضـوا
وثـوروا عـلـى الظُلم حتى القيامه
أنـا في بـلادي شـبـيـهُ الـغَـريـب
وكـل الـبـلاد لـتلك القُمامه
وكـل الـبـلاد تـعـانـي حـروبـاً
كـحـربَ الـبَـسُوسَ وحـربِ اليمامه
وتـلـك الـبـنـوك تـضـجُ رصـيـداً
لمـن أولمـواَ مـن شقائي ابتسامه
وتـمـتـدُ نـحـوي بـلا رحـمـة
فـتـهـدمُ شـعـبـاً وتـبـنـي زعـامـه
فـلا الـنـفـطُ نفطي ولا المـاءُ مائي
وكـل انـحـراف يُسمى استقامه
أحـسُ احـتـراقـي ومـنٌ داخـلـي
يـزيـدُ اشـتـعـالاً وأخـشى انعدامه
أحُـسُ احـتـلالي يـزيـدُ احـتـلالاً
وان أوهـمـونـي بـصـنـع الـكـرامـه
إلى أيـن تـمـضي أجـيـبُ سـؤالي
أمـا حـاربَ البنطلون العِمامه
ولـكـن جـمـالي هـنـا اسـتَـنـوقـت
فـقـاد الـنـيـاقَ جـمـيـعـاً أسـامـه
وأحـفـادُ "هـنـس" هُـنـا خيموا
وذاك المـنـاخـي يـزيـدُ انتقامه
فـقـد أعـلـنـوا حـربـهـم ضِـدنـا
ومـا حـرك الأهـلُ يـومـاً ظلامه
وأن الـطـبـيـبَ غـدا عـلـة
يـداوي السليم بَـداءً الحِجامه
أنـا الأشـعـريُ وهـاذي بـلادي
ولـكـن أضـاعـوا بـلادي تِـهـامـه
فـلـو كـنـت مـنـهـم كـمـا يـزعـمـون
لمـا جـرّعـونـي كـؤوسَ الـنـدامـه
ولا جـرّعـوا كـل أهـلـي ونـاسي
بحق "ابـن هـادي" وحـق الرسامه
ولا نـصّـبـوا مـن غـدا لا يـسـاوي
إذا قِـيـس يـومـاً بـظـفـري قُـلامـه
ولا أسقطوا مَن حِسابي حساباً
ودسُّـوا أنـوفـاً كـمـثـل النعامه
وفـوق الـهُـراء اضـافـوا هُـراءً
وهـذي الأفـاعـي تـقـودَ زِمـامـه
أنـا مـن بـلادٍ تُـسـمـى تـهـامـة
عـشِـقـتُ ثـراهـا وفـيـضَ الغمامه
أنـا مـن هـواهـا عـشـقـتَ الـهـوى
وأفـدي بـروحـي نـبـاتَ الثُمامه
ومـا زلـتُ أرنـو إلى مـقـلـة
تـصـون الـغـرام وتـمـحـو ظـلامـه
ومهما أحـالـوا ابتسامي اكتئاباً
أطـلّ على الـكـونِ شِعري ابتسامه

---

* شاعر من تهامة

أقصوصتان

عمر مكرم

ظلام

سقطت النوارةُ ,فساد ظلام
احاط بالاتجاهات الأربعة..
حاول كثيرون إشعال شمعة
لكن الرياح كانت تنهي كل
تلك المحاولات دون الاعلان
عن ضوء قادم في اي محاولة.
على جوانب مشاعرنا كان
الجهد حثيثا في زراعة براعم
للخوف ..فتمددت الطَحالبَ
فوق خَواصر اعمارَنا.

أولئك

اولئك القابعون هناك في
الظل كانوا ينتظرون شروقاً
جـديـدا لشمس قـد تأتي
وحديث لا ينتهَي.. ويبقى
الـسـاخـرون فيما بينهم
ينفخون في كير افعالهم كي
لا توقد شمعة..
سأل رجل نام واقفا: حتى
متى؟..
وكأن ذاك الأشعث الشعر

الممـزق الملابـس الـذي

يستعذب طعم سيجارة
ليست بين اصابعه قد سمع
السؤال العابر على وجعه
فصرخ بشده : اقفز
ثم ابتعد مقهقها..

صور

وصـلـت في مـشـواري الى
حيث نقطة الوقوف لأني
علمت باني قد تجاوزت
حدود الاسترسال بين الكذبة
والكذبة..
كنت قـد استقبلت هذا
الصباح القائظ بسبب
حـرارة الفعل المتصل منذ
مساء الامـس وحيث ذلك
الضجيج المتصاعد من
مآذن المدينة والذي حرمني
حق النوم وحق الحلم على
وجع المدينة القادم مع رياح
الشمال العاصفة..

تكريم الشاعر الغنائي الكبير علي بن علي الريح في منتدى الباهيصمي بعدن

غلام علي

احتفاء بعيد ميلاده ال 69 وتقديراً لإسهاماته المتعددة في المجال الثقافي الإبداعي ونشره للروائع الغنائية، وبحضور متميز من الصفوة المثقفين من الأدباء والشعراءِ والفنانين تم مؤخرا تكريم الشاعر علي بن علي الربيح بـ(درع المحبة والوفاء) والشهادات التقديرية في منتدى الباهيصمي الفني الثقافي / المنصورة / عدن .

إضاءات عن حياته وإبداعاته الفنية :

* الاسم الكامل : علي بن عليّ احمد عوض أبوبكر المحضار
اسم الشهرة : الشاعر علي بن عليّ الربيح
* الميلاد: 31/5/1955 م كريتر / عدن / حافة القاضي.

هذه الحارة العريقة في كريتر/ عدن، التي أنجبت عمالقة الادب والفن والشعر ومنهم : الموسيقار العدني العبقري احمد بن احمد قاسم، الشاعر الكبير لطفي جعفر أمان، حسن وحسين فقيه، فتحية الصغيرة، صباح منصر واخوها الإعلامي اللامع الفنان محمد سعيد منصر وآخرون.

درس الابتدائية في كريتر حتى السنة الرابعة ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة الشيخ عثمان العريقة وفيها استكمل دراسته المنهاجية المنتظمة لمرحلة الإعـداديـة، بكل اقتدار وتفوق حيث كان من الطلبة الاوائل والمبرزين (مركزاً ونشاطا وتفوقا تعليميا)، وكذلك اجتهاده وحصوله على درجة (دبلوم عام) من دار المعلمين (معهد البيحاني سابقا) الثانوية النموذجية لاحقاً.

المربي الفاضل الشاعر القدير علي بن علي الربيح هو أحد الأسماء اللامعة في سماء الأغنية والشعر الغنائي، شاعر غنائي مطبوع بالفطرة، يتفرد عن زملائه الشعراء بغزارة الكلمة الطربية الملحونة، بأسلوبه ولونه المميز بالإسقاطات الفنية اللاذعة ومحاكاته للواقع المعاش في انتقاء المفردات ذات الطابع الحسي والايحائي.

غنى له العديد من الزملاء الفنانين منهم : فضل كريدي وهو صاحب نصيب الأسد من تلك الروائع واخوه حسن كريدي، حسن المهنى، عبود خواجة، احمد الشلن، وفاء احمد سعيد، أمل كعدل، هاشم هرهرة، صالح البصير، محمد القديمي، فضل مسعود، صالح بوبل، مهيل الكوح، عماد السلامي، رفيق جامع، إكرام انصاف، علي محمد سيود، صابرين عوض، مختار عياش، عرفان، محمد الشيبة وآخرون.

شكل ثنائيا فنيا لامعا و رائعا مع أخيه الفنان القدير صاحب الأنامل الذهبية والريشة المميزة الأستاذ فضل كريدي ربنا يشفيه ويعافيه ويمد لنا بعمره إن شاء الله.. وقد أنتجت هذه الرفقة الثنائية الجميلة كثيراً من الروائع الغنائية نقتطف منها :

أنت فوق الوصف كله، مش وقتك تعال بعدين، ما عاد لك رحمة، جيت من نفسك ولا ربنا جابك، بس ربنا يهديك، بتوسلك، قد راح وقت الحظى، مش مهم، حبايب في الهوى كنا، مش خسران، كتمت الشوق، على كيف بانتفاهم، من تركى على قرطه سقط، يا الله بحسن الختام، الأمر لله، ربنا بايصلح الشان، تعب رجلي ولا قلبي، شل الرسالة وغيرها من الروائع الغنائية.

ومن صحبته ورفقته الجميلة مع الفنان الرائع حسن المهنى والذي يعود له الفضل أي الاستاذ علي الربيح في تسميته بالاسم الفني (حسن المهنى) بدلاً عن حسن الزبيدي في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم وقد حفلت هذه الرفقة الفنية الطيبة بالكثير من الروائع الغنائية ومنها :

المهنى يقول، سنين مرت، قال المعنى، بس يا قلبي كفى، با قولها كلمة، عليك السلام، ساهر تعد النجوم.

من مشاريعه المستقبلية التعاون مع الموسيقار الأستاذ أحمد صالح بن غودل مدير عام مكتب الثقافة م / عدن وبناء على رغبته في انتقاء بعض روائع الشاعر القدير علي بن علي الربيح وتجهيزها وإعدادها موسيقياً في قادم الأيام.

جدير بالاشارة، كان لي الشرف الكبير في معرفته ومصاحبته والتعامل معه لبعض تلكم الروائع الغنائية على أمل أن ترى النور في القريب العاجل مع كل من الاساتذة الفنانين: بلبل بنا الفنان القدير عوض احمد، والفنانة القديرة امل كعدل، عوض دحان، صالح البصير، رمزي محمد حسين، محمد علوي شملان، و رفيق جامع.

ختاماً نجدها فرصة سانحة وعبر هذا المحفل الكريم في مناشدة السلطات المحلية في تكريم شاعرنا الوطني التربوي القدير الاستاذ علي بن علي الربيح التكريم اللائق والمستحق نظير جهوده وتفانيه وإخلاصه ونشره للروائع الغنائية، وطباعة ديوانه الشعري الموسوم (أنت فوق الوصف كله)..

وكذلك الأخذ بأيدي المبدعين من كافة شرائح المجتمع على مستوى الوطن وتكريمهم التكريم اللائق والمستحق لجهودهم المضنية وعرق السنين والإخلاص للوطن والمواطن.

أخي السائق:
ساهم في بقاء الطريق السفلتي سالك لك وللاخرين .
صندوق صيانة الطرق
Roads Maintenance Fund
المركز الرئيسي - العاصمة عدن
RMFYemen1